

الفصل التاسع

اضطهاد الحركة الوطنية بعد مقتل بطرس غالى

١ - القوانين التى صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية

٢ - استئناف جهاد محمد فريد فى أوربا

١ - القوانين التي صدرت لاضطهاد الحركة الوطنية :

بعد اغتيال بطرس غالى عرض جورست على الخديو أن يوافق على اختيار اسماعيل سرى لتولى الوزارة فرفض كما اعترض على تعيين حسين رشدي أيضا ، وطلب من جورست أن يحصر الاختيار بين سعد زغلول ومحمد سعيد ، ولما كان جورست متخوفا من سعد وشدته^(١) فقد وافق على اختيار محمد سعيد ، ومن البرقية التي أرسلها جورست الى جراى بشأن هذا الموضوع يتضح أن جورست اقترح ترشيح محمد سعيد لرئاسة الوزارة ، بالرغم من أنه لم يكن على قدر كبير من التعاطف مع الاحتلال وذلك لأن تعيينه يعتبر أفضل من تعيين شخص آخر غيره^(٢) ويعنى بذلك سعد زغلول .

وقد طلب جورست من وزير الخارجية البريطانية الرد برقيا وبصفة مستعجلة على هذا الاقتراح الذى قدم من الخديو ، موضحا أن الخديو تعهد بعزل محمد سعيد من هذا المنصب اذ ظهر من الممارسة عدم تعاونه مع الانجليز^(٣) ، وقد رد جراى بالموافقة على تعيين محمد سعيد^(٤) .

ولما كلف محمد سعيد بتشكيل الوزارة حاول تسكين نشاط الحركة الوطنية ، بأن يشرك محمد فريد معه فى الوزارة ولكن فريد رفض الاشتراك فيها بقوله « كيف يطلب منى أن أشارك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان^(٥) » .

١ - مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٨ ص ٩٢٧ .

(2) F.O 407 — 175 Part Lxxii, Gorst to Grey Cairo Feb 21,1910

(3) Ibid

(4) F.O 407 — 175 No . 12, Grey to Gorst Feb. 22,1910

(٥) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٥٤ .

وللتكيد بالحركة الوطنية اتخذ الاحتلال من مقتل بطرس غالى
الحجة على أن يترك الدبلوماسية جانبا فألقى جراى خطابا فى البرلمان
فى ١٥ يونيه ١٩١٠ صرح فيه بأن سياسة حكومته تقضى بالاحتفاظ
باحتمال مصر لأنه من العار أن تتخلى عن المسئريات التى نشأت
حولنا هناك .

كما أمنت الوزارة الجديدة فى محاربة الحركة الوطنية ، فصدر
أمر عال بثلاثة قوانين تعطى السلطة التنفيذية الصفة القانونية فى
تصرفاتها المطلقة .

ويخص القانون الأول تهم الصحافة والمطبوعات وقد وضعه سعد
زغلول بصفته ناظرا للحقانية ، ويتخى بإحالة تهم الصحافة والمطبوعات
الى محكمة الجنايات^(٦) بعد أن كانت تنتظرها محاكم الجنح وأن يكون
حكمها غير قابل للاستئناف ، والسبب الذى دعا الى هذا القانون هو أن
تهم الصحافة كانت تنتظر فى المحاكم الابتدائية والاستئناف ، فرأت
الحكومة أن تحوّلها الى محاكم الجنايات يرهب الصحفيين من ناحية
ويجرهم احدى درجات التقاضى من ناحية أخرى^(٧) « وقد ذكر لويد
أن السبب الذى دفع الحكومة الى تقييد حرية الصحافة يرجع الى تهيج
جرائد الحزب الوطنى وخصوصا اللواء للرأى العام^(٨) ، ومع أن مجلس
شورى القوانين قد قرر بجلسة ٣٠ مايو ١٩١٠ رفضه بأغلبية الأصوات
لمشروع القانون فان الوزارة لم تبه برأيه^(٩) ونتيجة لذلك أرسلت

(٦) هو القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩١٠ الصادر فى ١٦ يونيه ١٩١٠ .

(٧) الرافعى : محمد فريد ص ١٦٨ — ١٦٩ .

ويذكر لويد أن السبب فى تقييد حرية الصحافة يرجع الى كتابات اللواء
المشديدة اللهجة .

(8) Lloyd : Egypt Since Cromer, Vol London 1933 p. 88 — 89

(٩) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الانعقاد ١٩٠٩/١٠

١٩١٠ محضر جلسة ٣٠ مايو وأول يونيه ١٩١٠ .

البرقيات من كافة أنحاء البلاد الى ديوان الخديو يحتج فيها أصحابها على ذلك القانون^(١٠) ويهدف القانون الثانى من منع طلاب المدارس من الاشتراك فى المظاهرات ، وذلك عن طريق تهديدهم بعقوبات مختلفة وذلك بفصل تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية الذين تقل درجاتهم فى الواظبة عن ٢٠ من ٣٠ خلال العام الدراسى وعدم قبولهم فى أى مدرسة أميرية أخرى ، وقد وافق مجلس شورى القوانين على ذلك واشترط أن تكون المظاهرة التى يشترك فيها التلاميذ مظاهرة سياسية .

أما القانون الثالث فهو خاص بتعديل قانون العقوبات^(١١) بحيث يعاقب بالسجن كل من اشترك فى اتفاق بقصد ارتكاب الجنايات حتى لو لم يشترك فى ارتكابها^(١٢) ، وذلك لما رأته الحكومة من نقص فى قانون العقوبات عند التحقيق فى قضية مقتل بطرس غالى^(١٣) فرغم ثبوت التهمة على مهندسين وخمسة من الطلبة ثبت اشترائهم فى

(١٠) محافظ عابدين ، تلغرافات ديوان خديو . انظر على سبيل المثال تلغراف من اللجنة الفرعية للحزب الوطنى بقسم عابدين .

(١١) هو القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ فى ١٦ يونيه ١٩١٠ .

(١٢) محاضر جلسات مجلس شورى القوانين . دور الاعتقاد العادى ١٩١٠/١٩٠٩ الجلسة السابقة الذكر .

(١٣) بعد اغتيال بطرس غالى احست سلطات الاحتلال ان هناك نقصا فى قانون العقوبات فمركب الجريمة سلب ثبت أنه ينتهى الى جمعية سرية وأن آخرين اشتركوا معه فى التفكير فى ارتكاب الجريمة ، ومع ذلك فقد انفرد دونهم بالتنفيذ ، ولم يجد القضاء يومئذ سبيلا الى معاقبة أولئك الشركاء الذين تبادلوا الراى مع القاتل - ولم يكونوا شركاء معه فى التنفيذ ، لذلك اضيفت مادة الى قانون العقوبات وهى المادة ٧ مكرر ، وقد جاء فى المذكرة الايضاحية لوزارة الحنانية أن الحكومة ارادت بهذه الاضافة أن تضرب على يد الاجتماعات أو الاتفانات التى يكون العيب بالنفس أو الأموال غرضا من اغراضها .

محمد عبد الله عنان : تاريخ المؤامرات السياسية . القاهرة - دار الهلال ١٩٢٨ ص ٣٥ .

التخطيط لارتكاب الجريمة ،فان هذه الجريمة لا توجد عليها عقوبة فى القانون المدنى (١٤) .

وقد وضع سعد زغلول هذا المشروع ووافق عليه مجلس شورى القوانين بعد تعديلات طفيفة : وقد استهدفت الحكومة من القانون الأول التنكيل برجال الحزب الوطنى ويتضح ذلك من محاكمة محمد فريد بسبب تقريره لكتاب « وطنيتى » (١٥) للشيخ على الغياتى والحكم عليه بالحبس لمدة ستة شهور فى أغسطس ١٩١٠ قدم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد الى المحاكمة بتهمة كتابة مقدمة لكتاب « وطنيتى » الذى يتضمن الدعوة الى الثورة والتدبير بالظلم وبحكم الفرد ، فقد تحدث الغياتى فى مقدمته لهذا الكتاب عن استسلام ملك فرنسا لويس السادس عشر لارادة حاشيته الظالمة ، وزوجته المستبدة المرسفة مارى انطوانيت التى كانت تحنقر الشعب الفرنسى ، كما بين هذا الكتاب ان اراد الشعب كانت دائما فوق كل ارادة ، وان الويل دائما يلحق بالحكومات اذا غضبت عليها الشعوب (١٦) .

كما تضمنت هذه المقدمة تنديدا بحكم الخديو المطلق واسرافه فكتب على الغياتى يقول « يأخذ الحاكم المستبد (يقصد الخديو) أموال الأمة باحدى يديه ، ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى فهو يجيعها ليشبع ويفقرها ليغنى ، ويذلها ليعتر ثم يسد فى وجهها مناهل العلم لتنتفح أمامه مناهج الظلم (١٧) » ثم هدد الخديو بقوله « لكن يوم الظالمين يوم عسيب . هناك يغير الله حالا بعد حال وتستوى الأمة على عرشها تدير دفة الحكم بيدها (١٨) » .

(14) Gorst to Grey . Cairo . April 12, 1910 No 20 Tel F.O Part Lxxii, 407 — 175 .

(١٥) ظهرت الطبعة الأولى منه فى يونية ١٩١٠ .

(١٦) على الغياتى : وطنيتى . القاهرة — مطبعة منبر الشرق —

الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ص ٢٦ — ٢٧ .

(١٧) نفسه ص ٣٣ .

(١٨) نفسه ص ٣٣ .

ومع أن جميع القصاصد التي احتواها الكتاب قد سبق للصحف نشرها فقد نبوت جريدة المؤيد السلطات الى خطورة الكتاب مما دفع الحكومة الى مطالبة النيابة بالتحقيق فيما ورد بالديوان ، فأمرت بمصادرته ، ووجهت تهمة التحريض على جريمة القتل السياسى والعيب فى حق الذات الخديوية ، والحض على كراهية الحكومة^(١٩) الى محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى ، ولما كان محمد فريد فى أوروبا فى ذلك الوقت للدفاع عن القضية المصرية قد أجلت محاكمته لحين عودته بينما حكم على الشيخ على الغاياتى غايبيا (وكان قد خرج سرا من القاهرة الى الاستانة) بالحبس لمدة سنة ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة شهور .

ومع أن خصوم محمد فريد قد أشاعوا أنه لن يعود خوفا من الحكم عليه . فإنه نفى هذه الشائعة وعو فى أوروبا وعاد الى مصر بعد أن كتبت له ابنته خطابا تذكر له فيه الشائعات ، وتطلب منه العودة الى بلاده ، بقولها « ولنفرض أنهم يحكهون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ جاويش ، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم .. وباسم الوطنية والحرية التى تضحون كل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا وتتحملا آلام السجن^(٢٠) » .

وقد بدأت النيابة التحقيق مع محمد فريد فى ٤ يناير ١٩١١ وقد تولى استجوابه محمد توفيق نسيم ، ونظرت القضية أمام محكمة الجنايات بالقاهرة فى ٢٣ يناير ١٩١١ وأصدرت المحكمة حكمها بحبس فريد لمدة ستة أشهر مع النفاذ .

وعند مراجعتنا للمقدمة التى كتبها محمد فريد ، وهى تحت عنوان

(١٩) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ القسم الثانى ص ٢٣٢ .

(٢٠) الرافعى : المرجع السابق ص ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ .

« تأثير الشعر فى تربية الأمم » نجد أنها تتحدث عن أثر الشعر فى ايقاظ الأمم من سباتها ، ومهاجمة استبداد حكومة الفرد لاماتتها للشعر الحماسى ، كما نجد دعوة من فريد للشعراء بعدم تملق الأمراء والتقرب من الوزراء ، لأن « الحكام زائلون والأمة باقية » (٢١) .

وبعد صدور الحكم على فريد قام أمين الرافعى بعمل استفتاء فى جريدة الشعب لمعرفة رأى علماء القانون عن السبب فى الحكم على فريد بستة شهور حبس ، بينما حكم على الشيخ جاويش بثلاثة أشهر مع أن التهمة واحدة ، فكانت الحجة أن فريد يعرف القانون أكثر من جاويش لذلك فإنه يقتضى التشديد عليه فى العقوبة (٢٢) .

والجدير بالذكر أن هذه القوانين قد زادت من تذمر الوطنيين وقد أفصح سعد زغلول عن ذلك فى مذكراته بقوله « كنت فى أشد حالات القلق لأنى أشعر أن فى النفوس هياجاً (٢٣) » كما تقاطرت برقيات الاحتجاج من كافة أنحاء البلاد ضد هذه القوانين ، وقامت المظاهرات وتدخل البوليس لقمعها باطلاق النار فى الهواء (٢٤) ومع أن سلطات الاحتلال استمرت فى سياسة الارهاب فان الحزب الوطنى ظل على سياسته فى اثاره الجماهير واستمرت حركة الطلبة فى المناداة بطلب الدستور مما أدى الى زيادة متاعب البوليس فى المحافظة على النظام بشوارع القاهرة كما برز تأثير الصحافة على الطبقات الوسطى التى أخذت تظهر عداها السياسى للاحتلال وتنتقد هيئة الحكومة وسلطتها (٢٥) يضاف الى ذلك أن سياسة القهر والارهاب ضد الحزب الوطنى أدت الى

(٢١) على الغيايى : المرجع السابق ص ١١ - ١٥ .

(٢٢) مجلة الهلال مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى بعنوان « مثال البذل والجهاد » محمد فريد ص ٣٣١ .

(٢٣) مذكرات سعد زغلول كراسة ١٣ ص ٧٢٢ .

(24) F.O 407 — 174 No 13, Graham to Grey, Cairo. April 4, 1909

(25) 407 — 174, No 187 LoWther to Grey Constantinoble
Morch 15, 1909 .

ظهور الأفكار الارهابية التي تنادى بالدعوة الى الاغتيالات السياسية (٢٦)
للتخلص من الخونة وأعداء الوطن .

ومما سبق يتضح أن سياسة الاحتلال فى قمع الحركة الوطنية
مد أدت الى زيادة حالات القلق فى البلاد واثارة النفوس ضد
الاحتلال .

٢ - استئناف جهاد محمد فريد فى أوروبا

فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ألقى محمد فريد خطابه السنوى فى الجمعية
العمومية للحزب الوطنى ندد فيها باقتراح اللورد كتشنر انشاء صندوق
توفير للزراع ، وطالب أن يكون ذلك بأيدى صرافى البلاد ومع أن هذه
الخطبة كانت خفيفة اللهجة عن خطب فريد السابقة فان الحكومة التى
كانت تتربص به رأت أن القاء فريد رهن السجن يحد من نشاطه
الوطنى ، ويرهب باقى الوطنيين لذلك أرسلت له اخطارا على يد ضابط
بوليس يتضمن استدعاءه الى النيابة لاستجوابه عما ورد بخطبته ،
ولما أحس فريد بنية الحكومة تجاهه فكر فى مغادرة البلاد الى الخارج
وقد أوضح ذلك فى مذكراته بقوله « ومن هذه اللحظة صممت على
ترك مصر (٢٧) » .

ولما كان أمر مغادرة زعيم الحزب الوطنى للبلاد له خطورته فى
التأثير على الحزب فقد استشار فريد أعضاء اللجنة الخاصة بمناقشة
المسائل الهامة فى الحزب وعن ذلك يذكر « خابرت صادق بك رمضان
وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل
حافظ أعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا قد شكلناها للمداولة فى مسائل

(26) 407 — 173 No 836, LoWther to Grey, Therapia - oct ,
11 — 1909 .

(٢٧) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الاول

الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية ، وفي صباح يوم الاثنين نزلت بالقطار من محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون ، وقصدت منزل الدكتور صادق وأخبرته بالحادثة وبعمزى على السفر . فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب (٢٨) » .

ذهب فريد الى النيابة لاستجوابه وبعد الاستجواب سمح له بالانصراف فذهب الى منزل اسماعيل لبيب حسب الاتفاق وهناك قصى على زملائه ما دار فى التحقيق فقرروا بالاجماع مغادرته للبلاد (٢٩) .

وقد أوضح فريد الطريقة التى غادر بها أرض الوطن فقال « ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل بك الى محل كوك للاستعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجدنا أن الوابور الروسى « الملكة أولجا » يسافر الى الآستانة وبيريه فى يوم الثلاثاء فقررنا السفر فبه بالكيفية الآتية وهى أن اسماعيل لبيب يقطع تذكره لنفسه للآستانة وأنا أسافر من مصر يوم الثلاث باكسبريس الصباح الساعة ٧ صباحا كانى مناسفر الى الاسكندرية للمرافعة فى قضية بمحكمة الاستئناف المختلطة ثم أرافقه الى الوابور فان ضبطت أو تعرف البوليس على أقول بأنى حاجز لوداعه وبما أنى سأكون بمفردى بلا شنط أو ملابس بل بلا تذكرة سفر فلا يمكن لأحد أن يظن بأنى - سافر (٣٠) .

ومع أن الوقت كان ضيقا أمام فريد ، والظروف تقتضى منه الاسراع فى العمل لأن الحكومة كانت جادة فى استصدار أمر بالقبض عليه فان أمرا هاما كان يشغل باله وهو الطريقة التى يمكنه عن طريقها ابلاغ زوجته بما اعتزم عليه فقد حرص على عدم ازعاجها ، ولكنه لم ير بدا

(٢٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . الجزء الأول . ص ١٤ .

(٢٩) نفسه .

(٣٠) نفسه ص ١٥ .

من أن يفخى إليها بالأمر فأغفهما بضرورة سفره وأوصاها بالصبر والجلد وطلب منها أن لا تخبر أولاده ولا أحد من أسرته بما اعترم عليه حتى لا يزعجوا^(٣١) .

وفى صباح الثلاثاء ٢٦ مارس استقل فريد القطار فقابله كثيرون من اخوانه وأصدقائه فأخبرهم أنه ذاهب الى الاسكندرية للترافع فى قضية بالمحكمة المختلطة . وقد رافقه فى القطار اسماعيل لبيب وتغذيا بالاسكندرية ثم قصدا الباخرة الروسية المزمع ركوبها وكان اسماعيل لبيب قد اشترى لنفسه تذكرة السفر أما محمد فريد فقد ركب بدون تذكرة حتى لا يعرف أحدا عزمه على السفر فيحجزوه^(٣٢) .

احتجب فريد فى محل الأدب نحو عشر دقائق عند مرور مفتش الباخرة فلم يلاحظ أحد وجوده^(٣٣) وبعد تحرك الباخرة دفع فريد ثمن التذكرة معتذرا بأنه لم يجد الوقت الكافى لأدائه فى مكتب الشركة بالاسكندرية^(٣٤) .

وعلى كل حال فقد خرج فريد من مصر واختلف الباحثون حول طبيعة هذا التصرف فمنهم من يعتبر خروجه تصرفا خاطئا لأنه عزل قيادة الحركة الوطنية عن الجماهير ونقل قيادتها من مركز اشعاعيا الى الاستانة ودول أوربا^(٣٥) وانه ترك شعبا أحبه والتف حوله وأعجب به ومنح التأييد لحزبه ما لم يمنحه لأى حزب آخر وكان يجب عليه ألا يترك

(٣١) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٢٧٥ .

(٣٢) نفسه .

(٣٣) مذكرات محمد فريد . د ١ القسم الاول ص ١٧ .

بينها يذكر الرافعى ان فريد احتجب بغرفة اسماعيل لبيب حتى انتهى مفتش الحجر الصحى من المرور .

(٣٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(٣٥) محمد صبيح ، مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية - كفتاح شعب مصر، فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة . الطبعة الثانية

١٩٦٦ - ٥٢٠ .

مصر لأنها مركز الجهاد الحقيقي^(٣٦) وأن دخوله السجن فيه تعبئة للرأى العام وإيقاظا لهمم الناس وشحذا لوطنيتهم وأنه كان من الممكن الافراج عنه بقوة الضغط الشعبى^(٣٧) .

ومن الباحثين من يرى أن خروج فريد من مصر كان تصرفا صحيحا لأنه كان فى نية الحكومة مثل حركته وإبقاؤه رهن السجن بواسطة سلسلة من المحاكمات التى لا تنتهى بحيث اذا خرج من سجنه تدبر له تهمة جديدة يدخل بسببها السجن ثانية وان خروج فريد من مصر سيتيح له متابعة جهاده فى الخارج ورفع صوت مصر والمناداة بحريتها واستقلالها^(٣٨) حيث كان الرأى العام العالمى فى حاجة الى فهم واضح لأبعاد القضية المصرية كما أن التنظيمات الطلابية خارج مصر كانت فى حاجة الى جهود فريد الذى يعتبر رجل التنظيم السياسى فى مصر^(٣٩) .

وهناك فريق يرى أن خروج فريد من مصر كان من أجل ملاحقة فتاة فرنسية كان يحبها وهى مدام دى روشبرون .

ومن وجهة نظرنا فنحن نرى أن نقل فريد لميدان الكفاح فى الخارج يعتبر استمرارا لمواصلة الجهاد وتأليا للرأى العام الأوروبى على الانجليز وأفيد للحركة الوطنية من تواجده وسط مؤامرات الحكومة وارهابها . فقد تابع فريد جهاده فى الخارج وكان أول عمل بارز له هناك هو حضوره مؤتمر السلام فى جنيف ر. ٢٦ سبتمبر ١٩١٢ ومطالبته بجلاء الانجليز عن مصر واقناع أعضاء المؤتمر بأن الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمى^(٤٠) .

(٣٦) د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ص ٣٨ .

(٣٧) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٥٣١ .

(٣٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٣٩) الجمهورية العدد ٥٧٧٥ فى ١٦/١٠/١٩٦٩ مقال للدكتور محمد

أنيس تحت عنوان كفاح فى المنفى .

(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨٢ .